الفصل الثاني عشر:

فلسطين في عهدة الإسلام

عبد القادر ياسين

بعد ست سنوات في المعارك، تخللتها انتكاسات عدة، تمكن القائد البيزنطي، هرقل، سنة ٦٢٨، في استرجاع سورية - ومدينة الرها في شماليها، موطن آبائه - بعد أن كانت قد وقعت في أيدي الفرس، وبعد أن كان خسرو الثاني (الفارسي) قد اجتاحها (٦١١ - ٦١٤م)، وأعمل فيها النهب، والدمار، أينما توجه؛ وفي ١٤ سبتمبر / أيلول ٦٢٩ م، أعاد امبراطور بيزنطة الصليب إلى القدس، فنادوا به محررًا للمسيحية، ومعيدًا لوحدة الإمبراطورية الشرقية[١].

في هذه الأثناء، كانت فرقة من نحو ٣٠٠٠ مقاتل عربي مسلم، تشن غارة على بلدة مؤتة، إلى الشرق من الساحل الجنوبي للبحر الميت وقاد الغارة زيد بن حارثة، لكنه استشهد فيها. وفي السنة التالية (٦٣٠م) قاد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، بنفسه، حملة على واحة تبوك، في شمالي الحجاز. وأمَّن الأهالي هناك على أنفسهم، على أن يدفعوا جزية سنوية وشملت البلدات المستهدفة كلاً من أيلة، ومقنا (على خليج العقبة)، وأذرح (بين البتراء، ومعان)، فالجرباء (على مسيرة ساعة من أذرح، شمالاً) [٢]. وكان الهدف الحربي من هذه الحملة إجراء " بروفة " لفتح بلاد الشام، وتحضير المناطق الموما إليها إلى رأس جسر للفتح.

لقد دعمت القبائل العربية النصرانية، المقيمة في جنوبي سورية (نظير / جذام / وقضاعة) الفتح الإسلامي، بعد أن استبد السخط بتلك القبائل، بسبب إيقاف هرقل منحة مالية كانت تدفع لتلك القبائل، مقابل حراستها الحدود. فيما أهمل هرقل أمر الحصون على الحدود الجنوبية، ما سَّهل للفتح مهمته [٣].

ما كان للفتح الإسلامي إلا أن يمتد ليشمل فلسطين، بعد أن تم ذلك الفتح لمعظم بلاد الشام [*]، أولاً حتى يتخلص العرب المسلمون من الشوكة البيزنطية في خاصرتهم ببلاد الشام، وثانيًا، حتى يزيل العرب المسلمون عقبة كأداء تعترض طريقهم إلى شمال أفريقيا، بدءًا من مصر. ولم يجد العرب المسلمون عناءً كبيرًا في فتح فلسطين، بسبب تدهور أوضاع الحكم البيزنطي فيها، اقتصاديًا، وسياسيًا، وعسكريًا، ومذهبيًا (مسيحيًا). ما جعل أهالي فلسطين يزدادون سخطًا على الحكم البيزنطي، وينفضُّون من حوله، في انتظار المخلِّص.

غني عن القول بأن الفتوحات الإسلامية إنما هي جزء متمم، وتنفيذي، لفريضة الجهاد في سبيل نشر الإسلام، المنبثق عن مبدأ عالمية الدعوة [٤]. دون أن يلغي هذا الدافع الاقتصادي وراء تلك الفتوحات [٥].

لقد نُسب إلى الخليفة الراشد، أبو بكر الصديق ☺ أنه ألح على القائد أبي عبيدة بن الجرَّاح - حين أرسله للمشاركة في فتح بلاد الشام - بأن ينشر جنده في القرى، ويتجنب محاصرة المدن، إلا بتعليمات من الخليفة نفسه، كأني بأبي بكر يريد محاصرة المدن بالقرى، إلى أن تتراخى قبضة السلطة البيزنطية في المدن، أكثر فأكثر، ففي القرى زاد المدن، وفي

القرى، أيضًا، فلاحون يرزحون تحت عسف وضرائب الحكم البيزنطي الباهظة. فضلاً عن أن الفلاحين في معظمهم - يتحدرون من أصول عربية، ما يجعلهم مهيئين للتناغم مع الفتح الإسلامي. لذا، تم للفتح الإسلامي دخول قرى فلسطين، سلمًا [٦].

ما أن اطمأن أبو بكر إلى ولاء القبائل العربية النازلة على التخوم الشمالية لدولته، حتى انتقل، في المرحلة الثانية من الفتح إلى ضرب المركز المدنية الأكبر، والتي تضم عربًا وغيرها [٧].

كان أول صدام بين جيش العرب المسلمين - بقيادة عمرو بن العاص - وجيش البيزنطيين، عن قرية داتن، قرب غزة، وكانت الموقعة الثانية بين جيش العرب المسلمين، بقيادة يزيد بن أبي سفيان، وبين الجيش البيزنطي، بقيادة بطريق غزة، وقد هُزم البيزنطيون، وقُتل قائدهم [٨].

بعد أن أتم خالد بن الوليد فتح بُصرى (سورية)، سلمًا (٦٣٤م)، سار خالد وبقية القادة العرب المسلمين، باتجاه فلسطين، حيث التقوا عمرو بن العاص، الذي كان يواجه تجمعًا كبيرًا للجيوش البيزنطية [٩].

معروف أن الخليفة أبا بكر قد وجه جيوشه (نحو ٢٤ ألف مقاتل)، لفتح بلاد الشام (أواخر ٦٣٣م)، على النحو التالي [١٠]:

- إلى فلسطين، عبر الساحل، بقيادة عمرو بن العاص.
- إلى الأردن، بقيادة شرحبيل من حسنة.
- إلى دمشق، بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

- إلى حمص، بقيادة أبي عبيدة بن الجرَّاح.

سلك عمرو بن العاص، بقواته، الطريق الساحلي، الذي دأبت على أن تسلكه القوافل التجارية (طريق المُعْرِفة)، المؤدية من مكة والمدينة إلى دمشق. وهي الطريق التي يسلكها، اليوم، الحجاج العائدون من الحجاز إلى المدن السورية، وبذا تكون أول بلاد وقعت تحت الحكم الإسلامي هي تلك الواقعة شرقي نهر الأردن، والبحر الميت. وقد تلا فتح دمشق، وما حولها، فتح الجليل، وغور الأردن، وفلسطين [١١].

انتهى ابن العاص إلى إيلة، عند رأس خليج العقبة، قبل أن يخترق النقب، ويصل إلى النقب، فقريتي داك، ويادَن، قرب غزة. وتمكن ابن العاص من الانتصار السهل السريع على قوى حملية تصدت لقواته. ونزل ابن العاص بقواته في " غَرة العربات "، بوادي عربة، بين البحر الميت وخليج العقبة، حيث عمل على إخضاع القبائل البدوية في النقب.

حين وصل يزيد بقواته إلى البلقاء في الأردن، أرسل مجموعة من مقاتليه - بقيادة أبو أمامة الباهلي - إلى العربة، من أرض فلسطين، وهزمت تلك المجموعة قوة بيزنطية، مكونة في نحو خمسة آلاف مقاتل، يقودهم سرجيوس [١٢].

جمع البيزنطيون قوات كبيرة، قرب أجنادين [*]، يتقدمهم القُبقُّلار، الذي كان هرقل استخلفه على أمراء الشام، حين سار الأول إلى القسطنطينية، وسرعان ما اندلعت معركة أجنادين الشهيرة (٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ٦٣٤/٧/٢٩م). فكانت أولى المعارك الكبيرة بن

العرب المسلمين والروم البيزنطيين. وفيها انتصر العرب المسلمون، ولكن بثمن بشري فادح، وطارد العرب المسلمون فلول البيزنطين حتى فحل، على الضفة الشرقية للأردن، قرب بيسان، وبعد أن حاقت بالبيزنطيين هزيمة ساحقة، بخسائر بشرية هائلة (نحو عشرة آلاف قتيل)، طلب أهالي فحل الأمان، مقابل دفعهم الجزية، والخراج، فأمَّنهم القائد أبو عبيدة بن الجرَّاح. وانسحب البيزنطيون إلى دمشق، فتعقبهم العرب المسلمون، وأوقعوا بالبيزنطيين هزيمة أُخرى في مرج الصفَّر، قرب دمشق (١٤هـ - ٦٣٥م)، وكان يقود البيزنطيين ثيودور، شقيق هرقل [١٣] واندحر البيزنطيون إلى دمشق، في صدهم العرب المسلمون، الذين تصدوا لنجدة أرسلها هرقل من القسطنطينية إلى دمشق، فهزمها جيش (العرب المسلمين) قبل أن يتمكن هذا الجيش من فتح دمشق (رجب ١٤هـ، سبتمبر / أيلول ٦٣٥م). ثم دارت معارك سجال، بين كروفر، إلى أن كانت معركة اليرموك الشهيرة الفاصلة، بقيادة خالد بن الوليد، وعلى الميمنة القائدان، عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة القائد يزيد بن أبي سفيان. وفي هذه المعركة أحرز العرب المسلمون انتصارًا حاسمًا (رجب ١٥ هـ، سبمتبر/ أيلول ٦٣٦م). وكانت نسبة مقاتلي العرب المسلمين نحو ربع مقاتلي أعدائهم. وترك هرقل، بعد معركة اليرموك، بلاد الشام، مرغمًا [١٤].

لعل من فضلة القول بأن لعمرو بن العاصي يعود الفضل في فتح معظم أرض فلسطين (غزة/ سبسطية/ نابلس/ اللد/ يُبنى/ عمواس/ بيت جبرين/ يافا/ ورفح). وعززت قوات أبي عبيدة قوات ابن العاص، التي

ضربت حصاراً حول بيت المقدس، طال أمده، إلى أن طلب أهلها تسليم مدينتهم، بعد أن أرسل ابن العاص رسالة إلى القائد البيزنطي، طلب منه فيها التسليم [١٥] وقد سخِر الأخير من ابن العاص، مشيرًا إلى أن الذي سيفتح القدس اسمه مكوَّن من ثلاثة حروف، وليس في أربعة حروف. وعندما يئس البيزنطيون من جدوى المقاومة، طلب البطريرك صفريونوس أن يكون التسليم للأمير، فظن ابن العاص بأنه المقصود، لكن صفريونوس رفضه، مشددًا على ضرورة أن يتم التسليم للخليفة عمر ☺، الذي أعلمه القائد أبو عبيدة بن الجرَّاح بطلب صفريونوس، فخف الخليفة عمر إلى الجابية، وعقد الصلح مع المقدسيين [١٦]. وحين بلغ عمر جبلاً يشرف على القدس، كبَّر من فوقة الراحلة، ومن يومها سمي ذاك الجبل " جبل المكبِّر ". ثم بلغ عمر سور المدينة المقدسة، وقد وقف نصاراها - يتقدمهم البطريرك صفريونوس - فسجدوا لعمر، لكن غلام عُمر نهرهم، وأفهمهم بأن السجود لا يكون لغير الله، وحده. هنا انتحى صفريونوس ناحية، وبكى، لكن عمر طيَّب خاطره. وخاطب عمر أهل إيلياء، مؤكدًا لهم بأن " لكم ما لنا، وعليكم ما علينا ". ولما أدركت الصلاة الخليفة عمر، وهو في كنيسة القيامة، رفض الاستجابة لطلب البطريك صفريونوس بأن يصلي حيث هو، ورد: " ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة، فيأتي المسلمون بعدي، ويقولون: (هنا صلى عمر، ويبنون مسجداً). وابتعد عمر عن الكنيسة، مرمى حجر، وفرش عباءته، وصلى. فكان مسجد عمر، لاحقاً. ثم أعطى عمر عهداً إلى أهل القدس، عُدَّت - بحق - نموذجاً فريداً في تاريخ الإنسانية كله للتعامل بين غالب ومغلوب،

حيث أمَّنهم الخليفة عمر على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وعلى أن " لا يسكن بإيليا معهم، أحد من اليهود "، مقابل دفع النصارى الجزية، وأن يُخرجوا اللصوص، ومن لا يريد الإقامة في القدس من الروم والبيزنطيين. وقد شهد على " العهدة العمرية "، كل من القادة: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان. وقد أعطى عمر عهداً مماثلاً لأهل اللد، وبقية المدن الفلسطينية[١٧].

كانت قيسارية آخر مدينة فلسطينية يفتحها ابن العاص (١٩ هـ/ ٦٤٠ م). فيما فتح معاوية بن أبي سفيان عسقلان، صلحاً (٢٣ هـ / ٦٤٤ م)، حين كان والياً على الشام. وإبان خلافة عثمان بن عفان أسكنها معاوية العرب، وأقطعهم بها، بأمر من الخليفة[١٨].

اتخذ المقاتلون العرب المسلمون من الرملة قاعدة لهم، كما أسكن الخليفة ابن الخطاب مقاتليه في القدس، وجعل علقمة بن حكيم أميراً على نصف فلسطين (" جند فلسطين "، أي الولايات العسكرية الفلسطينية)، وحاضرتها الرملة، فيما أمَّر ابن الخطاب علقمة بن مجزَّر على نصف فلسطين الآخر (الأردن). وأنزل ابن الخطاب ابن مجزَّر القدس، وأقطعت الدولة مقاتلي جيشها الأراضي[١٩].

لقد ظهرت أمام العرب المسلمين معضلة إدارة البلاد التي فتحوها، وهم بلا تجربة سابقة في هذا الميدان، وبعد اجتماعات عقدها عمر مع قادته، استقر الرأي على إبقاء العرب المسلمين، في البلاد المفتوحة، بمثابة أرستقراطية دينية - عسكرية. ودفع الأهالي (أهل الذمة) الجزية (ضريبة الدخل)، والخراج (ضريبة الأراضي)، وإن أعفوا من الجندية،

التي بقيت حكراً على المسلمين. أما " الفيء " فانحصر دفعه في المسلمين. وقد اختلفت نظام الضرائب من قطر لآخر، بحسب طبيعة التربة، وتبعاً للنظام المحلي السابق (بيزنطياً كان أو فارسياً) [٢٠].

كما سبق وأشرنا إلى أن الخليفة عمر قسَّم - في سنة الفتح - سورية إلى مقاطعات عدة، وحملت كل مقاطعة اسم " جند "، وقسمت سورية إلى خمسة أجناد، وهي: جند دمشق، وإلى الشمال منها جند حمص، وجند قنسرين، وإلى الغرب، والجنوب الغربي من جند دمشق، ثمة جند الأردن، الذي شمل الجليل، وبحيرة طبريا، والغور حتى البحر الميت. وإلى الغرب من جند الأردن، جاء جند فلسطين، وشمل كل الأراضي الواقعة إلى الجنوب من سهل عكا، وإلى الغرب غور الأردن، والبحر الميت، وإلى الشرق من البحر المتوسط، وإلى الشمال من برية التية، والطريق المؤدية إلى مصر. وأما البلاد الواقعة إلى الشمال من نواحي دمشق، فقد كوِّنت جنداً واحداً، دعي جند حمص، باسم أكبر مدينة فيه. وقد اتفقت هذه التقسيمات مع التقسيم القديم، الذي أوجده الرومان البيزنطيون، وقد وجده العرب المسلمون قائماً، عند الفتح، وأبقوا عليه. وقد أشار قانون جستنيان إلى أن هذا التقسيم يرجع إلى القرن الخامس الميلادي [٢١].

لقد كان طبيعياً أن يترأس الجند القائد الأعلى، والحاكم العام، الذي جمع في شخصه كل السلطات، التنفيذية، والقضائية، والعسكرية. وإن أبقى على هيكل الجهاز الحكومي البيزنطي، على حالة، واحتفظ بالموظفين من أهل البلاد. أى أن الحكومة العربية الإقليمية، في دورها

البدائي، كانت حكومة عسكرية محضة، ذات هدف مانح واضح [٢٢].

لم يعكِّر صفو الاستقرار والأمن في فلسطين إلا أصداء الصراع على الخلافة، منذ وصول عثمان بن عفان إلى منصب أمير المؤمنين، وحتى اغتيال خليفته، على بن أبي طالب.

معروف بأن عمرو بن العاص قد ولـيَّ على فلسطين، ليخلفه عبد الرحمن بن علقمة الكناني، ولما مات الأخير ضم فلسطين إلى والي الشام، آنذاك، معاوية بن أبي سفيان. لكن الخليفة عاد وعين علقمة بن مجزِّر والياً على فلسطين، قبل أن يلحقها خلفه، الخليفة عثمان بن عفان، مرة أخرى إلى معاوية. وحين أفلتت " للفتنة الكبرى " من عقالها، زمن الخليفةعثمان، الذي قُتل، وخلفه على بن أبي طالب، لاذ ابن العاص بقرية عجلان الفلسطينية، إلى أن استعان به معاوية ضد الخليفة عليَّ بن أبي طالب، وإن فشل معاوية في انتزاع البيعة لنفسه. ثم نشبت معركة صفِّين بين الخليفة عليَّ وبين معاوية، ثم اغتيل الخليفة عليَّ (٧٢٤ / ٦٦١ م)، فآلت الخلافة لمعاوية، على النحو المعروف [٢٣].

تبقى ثمة ملاحظات مهمة في أمر الفتح العربي الإسلامي لفلسطين، لعل أهمها أن ذاك الفتح لم يأتِ وفق خطة مرسومة، وتدبير مسبق [٢٤]. وقد ضحى المسلمون، في سبيل فتح بلاد الشام - بما فيها فلسطين - بنحو خمسة وعشرين ألف مقاتل، خلال حروبهم مع الروم البيزنطيين، " مما جعل ثمن هذه البلاد عليهم [العرب المسلمين] عالياً، والدماء الغزيرة التي أُهدرت في فتحها عزيزة " [٢٥].

أما وقد غدت سورية قاعدة عسكرية عربية إسلامية، فإن جيشًا عربيًا إسلاميًا انطلق منها، بقيادة عياض بن غَنْم، نحو الشمال الشرقي، وقام بأعمال حربية، بين سنتي ٦٣٩، ٦٤٦م، أخضع بها بلاد ما بين النهرين، ففتح الطريق إلى شمالي غربي فارس، وما وراءها. قبل أن يزحف جيش آخر، بقيادة عمرو بن العاص، في اتجاه جنوبي غربي، ثم له به، بين سنتي ٦٤٠، ٦٤٦، إخضاع مصر. ومنها استؤنفت، بسهولة، الأعمال الحربية في شمال أفريقيا، وأخيرًا في الأندلس، فيما غدت آسيا الصغرى عرضة لغارات العرب المسلمين[٢٦].

إلى ذلك ليس من المبالغة القول بأن الفتح العربي الإسلامي لسورية ساوى، في أهميته التاريخية، فتوحات الاسكندر الأكبر، التي حوَّلت الحياة الحضرية في سورية والأقطار المجاورة - لنحو ألف سنة - نحو الغرب، واتسمت تلك الأقطار بطابع ذالك الغرب. أما الفتح الإسلامي، فاستبدل بالغرب الشرق، عبر الصحراء، وحلت الصلات بمكة والمدينة محل الصلات بروما وبيزنطية، وفي مدى عقد من الزمان، بدَّل الفتح العربي الإسلامي وجه الشرق الأدني، وعلى مدى قرن بدَّل وجه العالم المتمدن. لقد غدا الفتح العربي الإسلامي عاملاً حاسمًا في تطوير مجتمع العصور الوسطي، وتحويل البحر المتوسط إلى جبهة إسلامية[٢٧].

لقد حكم المسلمون فلسطين وفق الشريعة الإسلامية، التي لا تفرِّق بين شخص وآخر، فلا " فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى " وحتى أهل الذمة فإن المسلمين الأوائل تعاملوا معهم وفق قاعدة " لا إكراه في الدين "، ولكم دينكم ولي دين " [٢٨].

بيد أن الفتح العربي الإسلامي لفلسطين لا يعني أن عرب فلسطين هم أخلاف أولئك العرب المسلمين، الذين قدموا مع الفتح. ففلسطين بلاد عربية، لأن العرب وفدوا إليها منذ عشرات القرون، فالعرب قطنوا فلسطين، منذ فجر التاريخ، حتى وإن أضيفت إليهم موجات من الهجرة، وفدت من الجزيرة العربية - وبضمتها موجة الفتح - وقد انصهرت كل تلك الموجات مع أهالي فلسطين. لذا " فإن عرب فلسطين، اليوم، هم الشعب التاريخي للأرض، وكانت البلاد، دائمًا، بلادهم ".

* * *

obeikandl.com

مراجع الفصل الثاني عشر

(١) فيليب حتى، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ج٢، ترجمة: كمال البازجي، مراجعة وتحرير د. جبرائيل جبور، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩، ص ٣.
(٢) **المصدر نفسه**، ص٥.
(٣) **المصدر نفسه**، ص ٦.
(*) عرفت، فيما بعد، باسم سوريا، الأردن، ولبنان.
(٤) **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٩٠. (انظر: د. نبيه عاقل، **فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي**، ص ٢٥٩).
(٥) حتى، **مصدر سبق ذكره**، ص١٧.
(٦) عاقل، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٥٩ - ٢٦٠.
(٧) **المصدر نفسه**، ص ٢٦٣.
(٨) **المصدر نفسه**، ص ٢٦٤.
(٩) **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.
(١٠) **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.
(١١) لي سترانج، **فلسطين في العهد الإسلامي**، ط١، ترجمة محمود عمايري، عمان، وزارة الثقافة، والإعلام، دائرة الثقافة والفنون، ١٩٧٠، ص ٤٢.
(١٢) عاقل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٦٤.
(*) تقع بين الرملة وبيت جبرين، على بعد نحو خمسة وعشرين كيلوا مترًا، جنوب غرب مدينة القدس، على أنه لم يعد لأجنادين أي أثر منذ قرون.
(١٣) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، الجزء الثالث، القاهرة، د. ت، ص٦٠١.
- عاقل، **مصدر سبق ذكره** ص ٢٦٧.
(١٤) **المصدر نفسه**، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.
- الطبري، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٠٦ - ٦٠٨.
(١٥) عاقل، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٧٠.
(١٦) الطبري، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٠٦ - ٦٠٨.
(١٧) **المصدر نفسه**، ص ٦٠٩.
- عبد الله التل، **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، القاهرة، دار القلم، ١٩٦٤،
ص ١٣٠.

- ظفر الله خان، **تاريخ فلسطين القديم**، منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي (١٢٢٠ ق. م - ٣٥٩م)، بيروت، دار النفائس، ١٩٧٣، ص ٣٩.

(١٨) عاقل، **مصدر سبق ذكره** ص ٢٧٠.

(١٩) الطبري، **مصدر سبق ذكره**، ص٦١٠.

(٢٠) حتى، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٩ - ٢٠.

(٢١) سترانج، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٢ - ٤٣.

(٢٢) حتى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٢.

(٢٣) عاقل، **مصدر سبق ذكره**، ١٠٩ - ١١١.

(٢٤) حتى، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٤.

(٢٥) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي**، ج١، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٥، ص ٢٩٧.

أورده: خان **مصدر سبق ذكره** ص ١٤٧.

(٢٦) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ١٥ - ١٦.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٢٨) خان، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٣ - ١٦٠.

obeikandl.com